إعلان انتمائنا وهويتنا المحقة

بقلم: الدكتور أحمد أديب أحمد

الكثير من النَّاسِ يتساءَلونَ: هل يجوزُ لأهلِ الحقِّ أن يُعلِنُوا عن وجودِهم كأهلِ إخلاصٍ مُحِقِّينَ؟

هذا الأمرُ مَوضـــعُ جَدَلٍ دَائرٍ ودَائمٍ بينَ الضـــُّعفاءِ الخائفينَ والأقوياءِ الْمُتَيَقِّنينَ بحمايةِ رَبِّ العالَمِينَ، وللإجابةِ على هذا التَّساؤلِ سَأوردُ الرِّوايةَ الآتيةَ عَلَّها تكونُ نافعةً للمُريدينَ.

سـُئِلَ الإمامُ جعفر الصَّـادق (علينا سـلامُهُ): أيُّهما أفضـَلُ: العبادةُ في السـِّرِّ مع الإمامِ منكُم الْمُسْتَتِرِ في دولةِ الباطلِ، أو العبادةُ في ظهورِ الحقِّ ودَولَتِهِ مع الإمامِ منكم الظَّاهرِ؟

توضيح: الشَّطرُ الأوَّلُ من السُّؤال لا يقتصرُ على زمنِ الأئمَّةِ فقط، بل يَمتدُّ في زمانِهِ حتَّى ظهورِ القائمِ الْمَهديِّ الْمُنتَظَرِ (ع)، وهو الْمَقصودُ بالفترةِ في روايةِ سيِّدنا أبي حمزة الثماليِّ (ع) حيث قالَ: دخلتُ على مولايَ جعفر (علينا سلامُهُ) فقلتُ له: أنتَ صاحبُ هذا الأمرِ؟ فقال: لا. فقلت: فَوَلَدُكَ؟ فقال: لا. فقلـت: فَوَلَـدُ وَلَـدِكَ هُوَ؟ قال: لا. فقلت: فَوَلَدُ وَلَدِ وَلَدِكَ؟ فقال: لا. قلت: مَن هُوَ؟ قال (علينا سـلامُهُ): (الذي يَمْلؤها عَدْلاً كما مُلِئتْ ظُلمًا وجُورًا، على فَتْرَةٍ من الأئمَّةِ، كما أنَّ رسـولَ اللهِ صـلى الله عليه وآله وسلم بُعِثَ على فَترَةٍ من الرُّسُلِ).

أجابَ الإمامُ جعفر الصَّـادق (علينا سـلامُهُ): الصَّـدَقَةُ في السـِّرِّ واللهِ أفضـلُ من الصَّـدَقَةِ في العلانيَةِ، وكذلكَ واللهِ عِبادَتُكُم في السـِّرِّ مع إمامِكُم الْمُسـْتَتِرِ في دولةِ الباطلِ، وتَخَوُّفُكُم من عَدُوِّكُم في دولةِ الباطلِ وحالِ الهدْنَةِ أفضـــلُ ممَّنْ يَعبُدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ذِكرُهُ في ظهورِ الحقِّ مع إمامِ الحقِّ الظَّاهرِ في دولـةِ الحقِّ، وليســـَتِ العبـادةُ مع الخوفِ في دولةِ الباطلِ مِثلَ العبادةِ مع الأمنِ في دولةِ الحقِّ، واعلَمُوا أنَّ مَن صَلَّى منكم اليومَ صلاةَ فَريضةٍ في جماعةٍ، مُستَتِرًا بها مِن عَدُوِّهِ في وقتِها فَأَتَمَّها، كَتَبَ اللهُ له خمسـينَ صلاةَ فريضةٍ في جماعةٍ، وَمَن صَلَّى منكم صلاةَ فَريضةٍ وَحْدَهُ مُستَتِرًا بها من عَدُوِّهِ في وَقتِها فَأَتَمَّها، كَتَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بها له خمسًا وعشـرينَ صـلاةَ فَريضـةٍ وَحدَانيَّةٍ، ومَن صـلَّى منكم صـلاةَ نافلةٍ لِوَقتِها فأتَمَّها، كَتَبَ اللهُ له بها عشـرَ صَلَواتِ نوافلَ، وَمَن عَمِلَ منكم حَسَنَةً، كَتَبَ اللهُ

عَزَّ وَجَلَّ له بها عِشرينَ حَسَنَةً ويُضاعِفُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حَسَنَاتِ الْمُؤمنِ منكم إذا أَحْسَنَ أعمالَهُ، وَدَانَ بالتَّقيَّةِ على دينِهِ وإمامِهِ ونفسِهِ، وأمسَكَ مِن لسانِهِ أضعافًا مُضاعَفَةً إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كريمٌ.

توضيح: إنَّ الإمامَ جعفر الصَّادق (علينا سلامُهُ) يُؤكِّدُ على وجوبِ العبادةِ اليومَ وعدمِ تَركِها، لأنَّها تنبعُ من الدَّافعِ الإيمانيِّ عند الْمُؤمنِ، وتَتَرافقُ مع جهادِهِ في إقامةِ العبادةِ والتَّقيَّةِ، فإقامةُ العبادةِ على جانبَين: الأوَّلُ خاصٌّ يتعلَّقُ بالتَّوحيدِ الخالصِ الذي يَصِلُ إليهِ الْمُؤمنُ من خلال التَّفقُّهِ في دينِهِ والتَّبحُّرِ في العلومِ الإماميَّةِ الْمُوَثَّقَةِ، والثاني عامٌّ يتعلَّقُ بإظهارِ ما يجبُ أن يظهرَ من مَعَالمِ الدِّينِ القويمِ والعلومِ الرُّوحيَّةِ الصَّافيةِ الدَّالَّةِ على رِفعَةِ ورُقِيِّ نهجِنا الْمُحِقِّ.

أمَّا التَّقيَّةُ فهي أيضًا على جانبين: الأوَّلُ يَتعلَّقُ بالتُّقَى وهو التَّمَثُّلُ بآدابِ أهلِ البيتِ والتزامُها، والثَّاني يتعلَّقُ بالاتِّقاءِ وهو حفظُ الجوهرِ الْمَكنونِ في القلبِ الْمَصونِ.

فَمَنِ التزمَ العبادةَ والتَّقيَّةَ في دولةِ الباطلِ التي تُعبِّرُ عن دارِ الدُّنيا قبلَ ظهورِ سيِّدنا القائمِ (ع) كان أفضلَ ممَّنْ ينتظرُ سيِّدنا القائمَ (ع) ليُحَقِّقَ التزامَهُ بالعبادةِ ويَستغنيَ عن التَّقيَّةِ، فأينَ هو الجهدُ والكَدُّ والجِدُّ والخوفُ والْمُجاهَدَةُ وغير ذلكَ من الأثقالِ التي تُثْقِلُ كاهلَ الْمُؤمنِ في دولةِ الباطلِ، وتَزولُ في دولةِ الحقِّ التي يحكمُها سيِّدنا القائمُ الْمَهديُّ الْمُنتَظَرُ (ع)؟

قال السَّائلُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قد واللهِ رَغَّبْتَنِي في العملِ، وحَثَثْتَنِي عليهِ، ولكنْ أُحِبُّ أن أعلَمَ كيفَ صِرنَا نحنُ اليومَ أفضلَ أعمالاً ممَّن يكونُ مع الإمامِ الظَّاهرِ منكم في دولةِ الحقِّ ونحنُ على دينٍ واحدٍ؟ فقال (علينا سلامُهُ): إنَّكم سَبَقْتُمُوهم إلى الدُّخولِ في دينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وإلى الصَّلاةِ والصَّومِ والحَجِّ، وإلى كلِّ خيرٍ وفِقْهٍ، وإلى عبادةِ اللهِ عَزَّ ذِكرُهُ سِرًّا مِن عَدوِّكُم مع إمامِكُم الْمُسْتَتِرِ، مُطيعينَ لَهُ، صَابرين مَعَهُ، مُنتَظِرينَ دَولَةَ الحقِّ خَائفينَ على إمامِكُم وأنفسِكُم من الْمُلُوكِ الظَّلَمَةِ، تَنظرونَ إلى حقِّ إمامِكُم وحقوقِكُم في أيدي الظَّلَمَةِ، قد مَنَعُوكُم ذلكَ، واضطَرُّوكُم إلى حَرْثِ الدُّنيا وطَلَبِ الْمَعَاشِ مع الصَّبرِ على دِينكُم وعِبَادَتِكُم وطاعةِ إمامِكُم مع الخوفِ مِن عَدُوِّكم، فبذلكَ ضَاعَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لكم الأعمالَ، فَهَنيئًا لَكُم.

توضيح: إنَّ الاختبارَ في هذا الأيَّامِ لَهُوَ أصعبُ بكثيرٍ من الاختبارِ عندَ ظهورِ سيِّدنا القائمِ الْمَهديِّ الْمُنتَظَرِ (ع)، فاليوم مع الضُّغوطِ والأثقالِ والخوفِ والبُعدِ والغُربَةِ وقلَّةِ الوفاءِ وكثرةِ الكذبِ وانتشارِ التَّحريفِ والبدَعِ والشُّبُهاتِ، سنَجدُ القابضَ على دينِهِ كالقابضِ على جمرةٍ من النَّارِ، يُجَاهدُ نفسَهُ

لِتَعَلُّمِ العلمِ والتَّفقُّهِ في الدِّينِ ومحاربةِ الشـــرِّ ومواجهَةِ الســـُّوءِ وإعلاء كلمةِ الحقِّ، وهذا الجهادُ كلُّهُ يَنتَفِي مع وجودِ القائمِ الْمَهديِّ الْمُنتَظَرِ (ع) الذي يَأتي بالعلمِ والفِقْهِ والشـــَّرعِ والدِّينِ ولا يَبقَى على وَجْهِ الأرضِ ظُلْمٌ ولا شَرٌّ إلاَّ ويُبَادُ، فأيَّامُهُ (ع) أيَّامُ سعادةٍ ورَخاءٍ وأمنٍ وطمأنينةٍ، وأيَّامُنا أيَّامُ تعاسةٍ وخوفٍ وإرهابٍ وجهادٍ.

قال الســـَّائلُ: جُعِلْتُ فداكَ فَمَا تُرَى إذا أَرَدْنا ألاَّ نكونَ من أصـــحابِ القائمِ ويظهرَ الحَقُّ، ونحنُ اليومَ في إمامَتِكَ وطاعَتِكَ أفضـلُ أعمالاً من أصـحابِ دَولَةِ الحقِّ والعَدْلِ؟ فقال (علينا سلامُهُ): ســـبحـانَ اللهِ، أَمـَا تُحبُّونَ أن يُظهِرَ اللهُ تَبـارَكَ وتَعـَالى الحقَّ والعَدْلَ في البلادِ، ويَجْمَعَ اللهُ الكلمةَ ويُؤَلِّفَ اللهُ بين قلوبٍ مختلفةٍ، ولا يَعصُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ في أرضِهِ، وتُقَامُ حُدُودُهُ في خلقِهِ، ويَرُدَّ اللهُ الحقَّ إلى أهلِهِ فَيَظْهَرَ، حتَّى لا يَستَخْفِي بشيءٍ من الحقِّ مَخَافَةَ أحدٍ من الخلقِ، أمَا واللهِ لا يَموتُ منكم مَيِّتٌ على الحالِ التي أنتُمْ عليها إلاَّ كانَ أفضلَ عندَ اللهِ من كثيرٍ من شهداءِ بَدْرٍ وأُحُدَ فأَبْشِرُوا.

توضيح: لا يُؤخَذُ الْمَعنى الْمَقصودُ بأفضَـلِيَّتِنا على شـهداءِ بَدْرٍ وأُحُدَ على مسـتوى العبارةِ، بل هو إشـــارةٌ إلى عظمـةِ ورفعَةِ مقامِ المجاهدينَ في دولةِ الباطلِ حينما يجاهدونَ لإقامةِ الدِّينِ وإعلاءِ كلمةِ الحقِّ والدِّفاعِ عن الثـــَّوَابتِ الْمُتَمَثـــِّلَةِ بسَادَةِ النَّهجِ الْمُحِقِّ في مواجهةِ افتراءاتِ رجالاتِ الباطلِ بحَقِّهم، وإنَّ هذا مِن أوجَبِ الواجباتِ على كلِّ رجلٍ مُخلِصٍ مُحِقٍّ، وهذا الجهادُ امتدادٌ للجهادِ في بَدْرٍ وأُحُدَ حيثُ كان الْمُسلمونَ قِلَّةً غَلَبَتْ كَثرَةً بولائِها ويقينِها وتَمَسُّكِها بالدِّفاعِ عن دينِها ورَسولِها، فَمَنْ أرادَ أن يكونَ كالْمُجاهدِ في معركةِ بَدرٍ فلْيَمتَشِقْ سلاحَ العلمِ الصَّافي لِيُدافعَ به عن النَّهجِ الْمُحِقِّ الذي ظَلَمَهُ التَّغييبُ القَسْـرِيُّ، فإن انْتَصـَرَ كانَ مَنصـورًا ومُؤَيَّدًا بجنودٍ لم يَرَها لقوله تعالى: (وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، ومَن قُتِلَ في سـبيلِ هذا النَّهجِ العظيمِ كانَ كشـهداءِ معركةِ بَدْرٍ وأُحُدَ، وفي الحالَينِ يَقَعُ فيه قوله تعالى: (وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا). أمَّا الذينَ يَخافونَ فَيَتَقاعَسُونَ عن الدِّفاعِ عن النَّهجِ الْمُحِقِّ، أو تَميلُ بهم أَنفُسُـهم الأمَّارةُ بالسـُّوءِ لطَلَبِ الدُّنيا ومُهادَنَةِ أعداءِ النَّهجِ الْمُحِقِّ ومُسـايَرَتِهم وتقديمِ التَّنازلاتِ لهم مقابلَ الدُّنيا وزِينَتِها ومَالِها فَهُم كَمَن انشـَغلوا بالغنائمِ يومَ أُحُدَ ولم يُطيعوا أمرَ النَّبيِّ محمَّد (ص)، فَحَاصـرَهم قائدُ جيشِ مُشـركي قريش ضِدَّ الإسلامِ، وقَضَى عليهم أسرَى ومَقتولين.

وعلينا أن نَختارَ إمَّا أن نكونَ أحرارًا نَنتمي للنَّهجِ الْمُحِقِّ، أو أَســْرَى بيدِ أعدائِهِ، وكما قالَ تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا).

نكتفي لعدم الإطالة والله أعلم

الباحث الديني الدكتور أحمد أديب أحمد